بعد ما دخل القدس وكان مسيره في اخر جمادى الاخرة وسير الكامل الى الافاق
بتسكين قلوب المسلمين وانزعاجهم لاجل اخذ الفرنج القدس ورحل من تل العجول
يريد دمشق والاشرف على حاصرنها فجد في القتال واشتد الامر على الناصر
الى ان تراسا في الليل على الكامل فاكرمه واعاده الى قلعة دمشق وبعث من تسلمها
منه وعوضه عن دمشق الكرك والشوبك والصلت والبلقا والاغوار ونابلس
واعمال القدس ثم ترك الشوبك للكامل مع عدة مما ذكر وتسلم الكامل دمشق في اول
شعبان واعطاها للاشرف واخذ منه ما معه من بلاد الشرق وهي حران والرها
وسروج وغير ذلك ثم سار الكامل فاخذ حماه ونوصيبين تقطع النهر ثم سار
الى حصن والرقة ودخل حران والرها ورتب امورها واتته الرسل من ماردين
وآمد والموصل واربل وغير ذلك واقيمت له الخطبة بماردين وبعث يستدعي عساكر
الشام لقتال الخوارزمي وهو خلاط ثم رحل الكامل من حران لامور حدثت وسار الى
مصر فدخلها في شهر رجب سنة سبع وعشرين وقد تعرج ولده الملك الصالح نجم الدين
ايوب وخلعه من ولاية العهد وعهد الى ابنه الملك العادل ابي بكر ثم سار الى
الاسكندرية في سنة ثمان وعشرين ثم عاد وحفر بحر النيل فيما بين المقياس
وبر مصر وعمل فيه بنفسه واستعمل فيه الملوك من اهله والامرا والجند فصار
الما دايما فيما بين مصر والمقياس وانكشف البر فيما بين المقياس والجيزة في
ايام احتراق النيل وخرج من القاهرة الى بلاد الشام في جمادى الاخرة سنة تسع
وعشرين واستخلف على ديار مصر ابنه العادل واسكنه قلعة الجبل واخذ الصالح
معه ثم دخل دمشق من طريق الكرك وخرج منها لقتال التتر وجعل ابنه الصالح
على مقدمته فسار الى حران فرحل التتر عن خلاط ثم خرج الى الرها وسار الى آمد
ونازلها حتى اخذها وانعم على ابنه الصالح بحصن كيفا وبعثه اليه وعاد الى
مصر في سنة ثلاثين فقبض على عدة من الامرا ثم خرج في سنة احدى وثلاثين الى
دمشق وسار منها ودخل الدرب وقد اعجبته كثرة عساكره فانه اجتمع معه ستة
طلبا الثمانية عشر ملكا وقال هذه العساكر لم تجتمع لاحد من ملوك الاسلام ونزل
على النهر الازرق اول بلاد الروم وقد نزلت عساكر الروم واخذت عليه وحطوا على
الدربند وسدوه فتحير لقلة الاقوات عنده واختلاف ملوك بني ايوب عليه
ورحل الى مصر وقد فسد ما بينه وبين الاشرف وغيره واخذ ملك الروم الرها
وحران بالسيف فتجهز الكامل وخرج بعساكره من القاهرة في سنة ثلاث وثلاثين
وسار الى الرها ونازلها حتى اخذها وهدم قلعتها واخذ حران بعد قتال

عن
عشر

شزمير

شزمير وبعث من كان فيها من الروم الى القاهرة في القيود وكان عدتهم نيفا وثلاثة
الاف نفس ثم خرب سروج وسار وعاد الى دمشق وسار منها الى القاهرة فدخلها في سنة
اربع وثلاثين ثم خرج في سنة خمس وثلاثين ونزل على دمشق وقد امتنعت عليه ايضا
حتى اخذها من اخيه الملك الصالح اسمعيل وعوضه عنها بعلبك وبصرى وغيرها في تاسع
عشر جمادى الاولى ونزل بالقلعة وشرع يتجهز لاخذ حلب ثم نزلت به نزلة وكان قد دخل في
ابتدايها الحمام فاندفعت المواد الى معدته فتورم وثارت فيه حمى فنهاه الاطبا
عن القي وحذروه منه فلم يصبر وتقيا ففات لوقته في اخر نهار الاربعا الحادي والعشرين
رجب سنة خمس وثلاثين وستماية عن ستين سنة منها ملكه لمصر نحوا من اربعين
سنة استقل فيها بعد موت ابيه مدة عشرين سنة وخمسة واربعين يوما وكان
يحب العلم واهله ويوثر مجالستهم وشغف بسماع الحديث النبوي وعمرت وبنى
دار الحديث الكاملية بالقاهرة وكان يناظر العلما ويمتحنهم بمسايل غريبة من فقه
ونحو فمن اجاب عنها حظي عنده وكان يبيت عنده بقلعة الجبل عدة من اهل العلم
على اسرة بجانب سريره ليسامروه وكان للعلم والادب عنده نفاق فتقصده الناس
لذلك وصار يطلق الارزاق الدارة لمن يقصده لهذا وكان مهابا حازما سديد الراي
حسن التدبير عفيفا عن الدما وكان يباشر امور مملكته بنفسه من غير اعتماد على وزير
ولا غيره ولم يستوزر بعد الصاحب صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر احدا وانما كان يندب
من يختاره لتدبير الاشغال ويحضر عنده الدواوين ويحاسبهم بنفسه واذا ابتدات زيادة
النيل خرج وكشف الجسور ورتب الامرا لعملها فاذا انتهى عمل الجسور خرج ثانيا وتفقد
فان وقف فيها على خلل عاقب متوليها اشد العقوبة فعمرت ارض مصر في ايامه عمارة جيدة
وكان يخرج من زكوات الاموال التي تجبى من الناس سهمي الفقرا والمساكين ويعين مصرف
ذلك لمستحقيه شرعا وتقررت عنه معالم الفقها والصلحا وكان يجلس كل ليلة جمعة
مجلسا لاهل العلم فيجتمعون عنده للمناظرة وكان كثير السياسة حسن المداراة واقام
على كل طريق خفرا لحفظ المسافرين الا انه كان مغرما بالجمع لما يجتهد في تحصيله واحدث
في البلاد حوادث سماها الحقوق لم تعرف قبله ومن شعره قوله

اذا تحققتم ما عند صاحبكم ۞ من الغرام فذاك القدر يكفيه
انتم سكنتم فوادي وهو منزلكم ۞ وصاحب البيت ادرى بالذي فيه

وقال له الطبيب علم الدين ابو نصر جرجس بن ابي خليفة في اليوم الذي مات فيه كيف
نوم السلطان في ليلته فانشد

يا خليلي خبراني بصدق ۞ كيف طعم الكرى فاني نسيته

بعينها
ها

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)